تبني الموهوبين من منظور إسلامي

اكتشاف المواهب ورعايتها

د. شميسة خلوي

الألوكة
www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عنوان المداخلة: تبنِّي الموهوبين من منظور إسلامي (اكتشاف المواهب ورعايتها)

الدكتورة شميسة خلوي

في إطار: المؤتمر العلمي الدولي الأوَّل لرعاية الموهوبين

تحت عنوان: (نحو استراتيجية وطنية لرعاية الموهوبين والمتفوِّقين في الجزائر)

أيام: 29–30 نوفمبر / 01 ديسمبر 2014م

جامعة البُلَيدة 2 – الجزائر

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

بالتعاون مع: مخبر الصحة النَّفسية (التربية – الموهبة – الإبداع)

والجمعية العلمية للموهوبين والمتفوِّقين بالجزائر

الموهبة... تلك القدرة الاستثنائية والطاقة الكامنة في نفس الموهوب والتي تجعل منه مبدعا في مجال من مجالات الحياة المختلفة، وهذه المواهب بحاجة لبيئة تصقلها وتوجّهها لتكون في خدمة البلاد والعباد، فإما أن يُكتشف ذلك الاستعداد الفطري للنُّبوغ وتتم رعايته، أو تُطمس معالمه وتخبو!

لذا وجب التنبُّه للخصائص الجسمية والعقليَّة والنَّفسية التي يتفرَّد بها الموهوب عن أقرانه، ثم تشجيعها والعمل على توفير المحيط المناسب لتفتُّقها.

وبالرجوع لعالمنا العربي والإسلامي حاليا، لا نجد غير اكتشافٍ للنُّبوغ التَّرفيهي من غناء ورقص وتمثيل، فأين الجِدُّ من كلِّ هذا؟ وأين البحث عن المواهب التي تكون مشاريع مفكِّرين وعلماء ومخترعين ينهضون بالأمَّة ويقودونها؟ وأين الثِّقة بأصحاب المواهب المتميِّزة؟

وهنا نطرح أسئلة جوهرية تدور حولها مداخلتنا:

كيف تعامل الإسلام مع فئة الموهوبين بدءا من اكتشافها فرعايتها؟

وهل الاهتمام بالموهوبين في الإسلام يخصُّ صغار السنِّ فقط، أو يتعدَّى إلى الاستغلال الإيجابي لقدرات الموهوبين الذين يمتلكون إمكانات تُأهِّلهم لأداء مهامهم على أحسن وجه؟

وهل من المجدي إعطاء الفرصة للموهوب لإثبات قدراته، وإنْ كانت المهمة عظيمة؟

ومن يكون وراء اكتشاف المواهب يا ترى؟

هذا ما سنحاول الإجابة عنه في الصَّفحات الموالية، والتي سندعِّمها بأمثلة تاريخية تبيِّن المنهج الإسلامي في اكتشاف الموهوبين ورعايتهم، بدءا من رصد نماذج من عناية القرآن الكريم بتصوير مواهب مختلفة عبر القصص القرآني.

ثم بذكر تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع المواهب المختلفة التي عاينها بين صحابته رضي الله عنهم، والنَّتائج الطيِّبة من وراء ذلك.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لنكشف بعد ذلك عن حال أجدادنا وتعاملهم مع أصحاب القدرات المتميّزة، وذلك برصد مجموعة من ثمار العناية بالمواهب ممَّن قرع صيتهم الأسماع عبر تاريخ حضارتنا.

أوَّلا: القرآن الكريم واكتشاف المواهب وتشجيعها:

إن فكرة اكتشاف المواهب وما ينتج عن ذلك من خير للمجتمع كافَّة، ليست وليدة اليوم، بيْد إنها متواجدة في تاريخ الأمم السَّابقة، وما قصص القرآن الكريم ببعيدة عنَّا حينما نتتبَّع أحداثها برويَّة وتمعُّن، وفي ما يلي رصد لبعض هذه النماذج.

- **موسى وهارون عليهما السَّلام:**

نقرأ في قصة موسى وأخيه هارون عليهما السَّلام قوله تعالى على لسان موسى عليه السَّلام حين أمره الله تعالى بالذَّهاب إلى فرعون: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (34)﴾ (القصص: 34).

فقال عزَّ وجل مجيبا سُؤْله: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ (35)﴾ (القصص: 35).

لقد أدرك كليم الله موسى عليه السَّلام الموهبة الكامنة في أخيه هارون، وأنه أقْدر منه على توصيل الفكرة بأسلوب بليغ واضح بيِّن يسترعي انتباه المستمعين إليه، يقول ابن كثير شارحاً الآية أثناء إيراده للقصة القرآنية: «أَيْ: اجْعَلْهُ مَعِي مُعِينًا وَرِدْءًا وَوَزِيرًا يُسَاعِدُنِي وَيُعِينُنِي عَلَى أَدَاءِ رِسَالَتِكَ إِلَيْهِمْ، فَإِنَّهُ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا وَأَبْلَغُ بَيَانًا»[1].

إذن، لقد حاول موسى بن عمران عليه السَّلام أن يُسخِّر موهبة أخيه هارون عليه السَّلام لخدمة دين الله ونُصرة الحق.

---

[1] **ابن كثير، البداية والنِّهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر للطباعة والنَّشر والتَّوزيع والإعلان، 1418هـ / 1997م، نُشر سنة: 1424هـ / 2003م، 59/2، ويُنظر تفسير الآية (34) من سورة القصص: جلال الدين السُّيوطي، تفسير الجلالين، ط1، دار الحديث، القاهرة، مصر، 513.**

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكضميمة لما أوردناه في نفس القصة، لفت انتباهنا خبر موسى مع شيخ مدْين عليهما السَّلام حين جاء مدْين، حيث ألفى ابنتين للشَّيخ وقد خرجتا للسُّقيا، فبادر موسى عليه السَّلام بقضاء حاجتهما، فكان لهذا الفعل بالغ الأثر على الفتاتين.

وعند عودتهما، ذكرتا لوالدهما ما كان من أمرهما مع موسى عليه السَّلام، فأرسل والدهما في طلبه، وهنا بادرتْ بنت شيخ مدين ناصحة والدها بأن يستأجره، مُدركةً بذلك ما يمتلكه موسى عليه السَّلام من قُدرات ومواهب قَلَّتْ أو نَدُرَتْ عند غيره، والتي جمعتْها في القوَّة والأمانة، يقول الله عزَّ وجل على لسانها: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (26)﴾ (القصص: 26).

يقول السُّيوطي شارحاً الآية: «أَيْ اسْتَأْجِرْهُ لِقُوَّتِهِ وَأَمَانَته فَسَأَلَهَا عَنْهُ فَأَخْبَرَتْهُ بِمَا تَقَدَّمَ مِنْ رَفْعه حَجَر الْبِئْر وَمِنْ قَوْله لَهَا امْشِي خَلْفِي، وَزِيَادَة أَنَّهَا لَمَّا جَاءَتْهُ وَعَلِمَ بِهَا، صَوَّبَ رَأْسه فَلَمْ يَرْفَعهُ»[1].

إذن، كما مرَّ بنا في قصة موسى وأخيه هارون عليهما السَّلام، فإنَّ اكتشاف الموهبة كان بُغية نصرة الحقِّ وإعلاء لوائه، وفي قصَّته مع شُعيب عليه السَّلام، فإنَّ اكتشاف موهبته كان لصالح دُنيوي، وهنا نقول: ليس اكتشاف المواهب مقتصراً على الجانب الدِّيني فحسب، فقد ألفيْنا نماذج أخرى تُعنى بالجانب الدُنيوي، والذي يظهر واضحاً أيضا من خلال النَّموذج التالي:

- **يوسف عليه السَّلام:**

يظهر لنا في قصة يوسف عليه السَّلام أنَّ صاحب الأمانة والكفاءة يُنتقى ويُوَلَّى على أمور الرعيَّة، و من يمتلك القدرات المميَّزة يحظى بالاهتمام، وتُقدَّم له الفرصة في مجال نباهته وحذاقته ليُثبت مهاراته على أرض الواقع.

---

[1] يُنظر تفسير الآية: جلال الدين السُّيوطي، تفسير الجلالين، 388.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تُطالعنا أحداث القصَّة أنَّ يوسف عليه السَّلام حين عبَّر الرُّؤْيا لملك مصر، ما كان من هذا الملك إلا أن استخلصه لنفسه بعدما أيْقن أن هذا الفتى ليس كأقرانه، ولما علِم فيه من خير للبلاد والعباد، يقول الحقُّ تبارك وتعالى أثناء عرض قصة يوسف عليه السَّلام: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (54) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (55) وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (56)﴾ (يوسف: 54-56).

يقول ابن كثير موضِّحا سبب انتقاء الملك ليوسف عليه السَّلام: «لَمَّا أَحَاطَ الْمَلِكُ عِلْمًا بِكَمَالِ عِلْمِ يُوسُفَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَتَمَامِ عَقْلِهِ وَرَأْيِهِ السَّدِيدِ وَفَهْمِهِ، أَمَرَ بِإِحْضَارِهِ إِلَى حَضْرَتِهِ لِيَكُونَ مِنْ جُمْلَةِ خَاصَّتِهِ»[1]، وصدق حدس الملك وأفلح في ثِقته بقدرات يوسف عليه السَّلام وكان بذلك سبباً في إنقاذ مصر من مجاعة محقَّقة.

ثانيا: نماذج من اكتشاف النبي صلى الله عليه وسلم لمواهب الصَّحابة رضي الله عنهم:

لنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوةٌ حسنة في طريقة التَّعامل مع نلمح في تصرُّفاتهم قدرات تفوق سنَّهم وتتجاوز أقرانهم، ومن يستقرئ السيرة النَّبوية يقف عند نماذج عديدة كان فيها السَّبق للتَّشجيع وصقل الموهبة، نذكر منها:

---

[1] **ابن كثير، البداية والنِّهاية، 481/1، ويُنظر تفسير الآية (34) من سورة القصص: جلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، 513.**

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- **الصَّحابي زيد بن ثابت رضي الله عنه (ت: 45 هـ)**

هو زيد بن ثابت بن الضحَّاك الأنصاري[1] من بني النجَّار أخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، من أكابر الصَّحابة رضي الله عنهم، كان كاتبا للوحي، روى له البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنَّسائي وابن ماجة.

يحكي زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَدِمَ المدينة، وهو –زيد– بن إحدى عشرة سنة، فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم أنَّ زيدا قرأ مما أُنزل على النبي سبع عشرة سورة، ثم قرأ على النبي ما حفظه، فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم بقراءة زيد[2].

لم يتوقَّف الإعجاب عند هذا الحدِّ، بل أدرك الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام ما تنطوي عليه شخصية زيد الفتى من قُدرات فائقة يمكن أن تُوجَّه توجيهاً سليماً يخدم الدَّعوة الإسلامية.

يقول زيد بن ثابت رضي الله عنه سارداً موقف النبي صلى الله عليه وسلم معه: «أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَتَعَلَّمَ لَهُ كَلِمَاتٍ مِنْ كِتَابِ يَهُودَ قَالَ: «إِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابٍ» قَالَ: «فَمَا مَرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى تَعَلَّمْتُهُ لَهُ» قَالَ: «فَلَمَّا تَعَلَّمْتُهُ كَانَ إِذَا كَتَبَ إِلَى يَهُودَ كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ، وَإِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ قَرَأْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ»[3].

---

[1] تنظر ترجمته وأخباره في: شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط3، مؤسسة الرِّسالة، 1405هـ / 1985م، 426/2، وابن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1968م، 358/2.

[2] ينظر: شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، 428/3.

[3] الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق –هذا الجزء تحديدا–: إبراهيم عطوة عوض، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1395هـ / 1975م، أبواب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في تعليم السُّريانية، (2715) 67/5، والحديث صحَّحه الشيخ الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السَّبيل، تحقيق: زهير الشاويش، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1405 هـ – 1985م، 255/8.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إنَّه التَّوجيه النَّبوي وتشجيع المواهب وصقلها، فبعد أن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم قُدرات زيد رضي الله عنه في الحفظ والتعلُّم، حاول أن يجعل زيدا يستغلُّ إمكاناته وطاقاته استغلالا إيجابيا، فطلب منه تعلُّم اللُّغة العبرية، لتكون له بصمة خالدة في تاريخ الإسلام.

- **الصَّحابي أبا مَحْذُوْرَةَ الجُمَحيُّ (ت: 59هـ)**

هو[1] سَمُرَةُ بْنُ مِعْيَرٍ أَبُو مَحْذُورَةَ الْجُمَحِيُّ مؤذِّن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان من أحسن النَّاس وأنداهم صوتاً.

الأذان... ذاك النِّداء الذي يُظهر كلمة التَّوحيد ويُعلَم به دخول وقت الصَّلاة بألفاظٍ مخصوصة، نُلفيه وقد ارتبط في تاريخ الإسلام بأبي مَحْذُورَة مؤذِّن المسجد الحرام، فكيف تحوَّلتْ موهبته من مسارها الخاطئ إلى مسارها الصَّحيح بتوجيه من معلِّم البشرية عليه أفضل الصَّلاة والتسليم؟

لنتمعَّن في هذه القصَّة التي يرويها الصَّحابي نفسه: عن أبي محذورة قال: «لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حُنَيْنٍ خَرَجْتُ عَاشِرَ عَشْرَةٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ نَطْلُبُهُمْ، فَسَمِعْنَاهُمْ يُؤَذِّنُونَ بِالصَّلَاةِ فَقُمْنَا نُؤَذِّنُ نَسْتَهْزِئُ بِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَدْ سَمِعْتُ فِي هَؤُلَاءِ تَأْذِينَ إِنْسَانٍ حَسَنِ الصَّوْتِ».

فَأَرْسَلَ إِلَيْنَا، فَأَذَّنَّا رَجُلٌ رَجُلٌ وَكُنْتُ آخِرَهُمْ، فَقَالَ حِينَ أَذَّنْتُ: «تَعَالَ» فَأَجْلَسَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ، فَمَسَحَ عَلَى نَاصِيَتِي وَبَرَّكَ عَلَيَّ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: «اذْهَبْ فَأَذِّنْ عِنْدَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ». قُلْتُ كَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَعَلَّمَنِي كَمَا تُؤَذِّنُونَ الْآنَ بِهَا: «اللَّهُ أَكْبَرُ. اللَّهُ أَكْبَرُ. اللَّهُ أَكْبَرُ. اللَّهُ أَكْبَرُ. أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. حَيَّ

---

[1] **تنظر ترجمته وأخباره في: شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2003م، 558/2، وأبو نعيم الأصبهاني، معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، ط1، دار الوطن للنشر، الرياض، 1419هـ - 1998م، 1411/3.**

عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ. حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ. حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ. الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ فِي الْأُولَى مِنَ الصُّبْحِ».

قَالَ: وَعَلَّمَنِي الْإِقَامَةَ مَرَّتَيْنِ: «اللَّهُ أَكْبَرُ. اللَّهُ أَكْبَرُ. اللَّهُ أَكْبَرُ. اللَّهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ، قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ، اللَّهُ أَكْبَرُ. اللَّهُ أَكْبَرُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»»[1].

يا لها من نقلةٍ نوعية في حياة أبي محذورة!

من مستهزئ بالأذان إلى مؤذِّن بأحسن صوت وأندى إلقاء، ولم يكن ذلك لولا تنبُّه النبي صلى الله عليه وسلم لما يمتلكه هذا الفتى من إمكانات صوتية متميِّزة كانت بحاجة لتوجيه خيِّر وتشجيع لائق.

- **الصَّحابي حسَّان بن ثابت الأنصاريّ (ت: 54هـ)**

هو[2] حَسَّانُ بنُ ثَابِتِ بنِ المنذِرِ بنِ حَرَامٍ الأَنْصَارِيُّ شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصاحبه، كان من سكان المدينة وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، عاش ستِّين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام.

ذاعت مدائحه في الغسَّانيين وملوك الحيرة قبل الإسلام ، حدَّث عنه ابنه والبراء بن عازب وسعيد بن المسيَّب وأبو سلمة وآخرون.

لقد رأت قريش أن الدعوة الجديدة قد وجدت لها من يلتفُّ حولها من المهاجرين والأنصار، فاستنفرتْ لذلك شعراءها لمحاربة الدِّين الجديد، فكان الهجاء مُعلَنا على الإسلام والمسلمين، طعنا في كرامتهم، وخدشا لمشاعرهم، وحطًّا من قيمتهم.

---

[1] النَّسائي، السُّنن الصُّغرى، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط2، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، 1406هـ-1986م، كتاب الأذان، الأذان في السَّفر، (633) 07/2، والحديث صحَّحه الشيخ الألباني في الثمر المستطاب في فقه السُنَّة والكتاب، ط1، غراس للنَّشر والتَّوزيع،1422هـ، 153.

[2] تنظر ترجمته وأخباره في: تنظر ترجمته وأخباره في: شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، 512/2.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لهذا، برز دورٌ جديد لنُصرة الإسلام، إنه النُّصرة باللِّسان والقريض، وأصبح هجاء الكفار والمشركين للانتصار للإسلام والمسلمين حتميا وموازيا للجهاد بالسِّلاح، ومن ثمَّة ظهر من المسلمين شعراء أفذاذ في مقدِّمتهم الصَّحابي حسَّان بن ثابت رضي الله عنه، والذي لُقِّب بشاعر الرسول صلى الله عليه وسلم.

فكيف كانت البداية؟

وكيف صُقلت موهبة الصَّحابي حسَّان بن ثابت بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم؟

تُحدِّثنا المصادر التاريخية أنه عليه الصلاة والسَّلام أمر بقرظ الشِّعر لصالح الدَّعوة الإسلامية والدِّفاع عنها، وثبت أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم أمَرَ حسَّان بن ثابت بهجاء قريش، فعن البراء بن عزب رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسَّان بن ثابت رضي الله عنه: «اهْجُهُمْ -أَوْ قَالَ: هَاجِهِمْ- وَجِبْرِيلُ مَعَكَ»[1].

ويتجلَّى لنا ما ذكرناه بدِقَّة من خلال القصَّة الواردة في صحيح مسلم والتي ارتأينا أن نوردها كاملة للدَّلالة على تشجيع الرسول صلى الله علي وسلم لموهبة حسَّان بن ثابت رضي الله عنه وتوجيهها.

عن عائشة رضي الله عنها، أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «اهْجُوا قُرَيْشًا، فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ» فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ فَقَالَ: «اهْجُهُمْ» فَهَجَاهُمْ فَلَمْ يُرْضِ، فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، قَالَ حَسَّانُ: قَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تُرْسِلُوا إِلَى هَذَا الْأَسَدِ الضَّارِبِ بِذَنَبِهِ، ثُمَّ أَدْلَعَ لِسَانَهُ[2] فَجَعَلَ يُحَرِّكُهُ، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَفْرِيَنَّهُمْ بِلِسَانِي فَرْيَ الْأَدِيمِ[3]، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَعْجَلْ، فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا، وَإِنَّ لِي فِيهِمْ نَسَبًا، حَتَّى يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبِي» فَأَتَاهُ حَسَّانُ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ لَخَّصَ لِي نَسَبَكَ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ.

---

[1] البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر النَّاصر، ط1، دار طوْق النجاة، 1422هـ، كتاب الأدب، باب هجاء المشركين، 36/8، (6153).

[2] أي: أخرجه عن الشَّفتين، ينظر: شرح محمد فؤاد عبد الباقي، على هامش الحديث في الصَّحيح.

[3] أي: لأُمَزِّقَنَّ أعراضهم تمزيق الجلد، ينظر: المصدر السَّابق.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ لِحَسَّانَ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ، مَا نَافَحْتَ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ»، وَقَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى وَاشْتَفَى[1]» قَالَ حَسَّانُ[2]:

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ *** وَعِنْدَ اللهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ

هَجَــوْتَ مُحَمَّدًا بَرًّا حَنِيفًا *** رَسُولَ اللهِ شِيمَتُهُ الْوَفَاءُ

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِــدَهُ وَعِــرْضِي *** لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ»[3].

فالرسول صلى الله عليه وسلم من خلال هذه الحادثة، جعل من الشِّعر طريقة لردّ كيْد شعراء قريش، وانتقى من الشُّعراء حسَّانا لقدرته على الرد، وأبي بكر لقدرته على تيسير أمر الهجاء دون مسٍّ بنسب النبي صلى الله عليه وسلم.

ثالثا: نماذج من سِيَرِ السَّلف الذين وجدوا من يتبنَّى مواهبهم:

ليس عبثا منَّا أن نستحضر ماضي أمَّتنا في ما له علاقة باكتشاف المواهب ورعايتها –كما في غيرها– ، ففي التَّاريخ دروس وعِبر، لأنَّ دراستنا للتَّاريخ «تُتيح لنا إدراك الأسباب الحقيقية للانتكاسة الضَّخمة التي وقعت فيها الأمة في عصرها الأخير، ونتعرَّف في الوقت ذاته على طريق الخلاص»[4]، وإنَّ من يستخلص الدُّروس من التَّاريخ ليصحِّح أخطاء واقعه، يكون قادرا بعدها على استثمار ما هو مُتاح بين يديه، وأيُّ استثمار أفضل من تنشئة جيل يكون بين يديه خير البلاد والعباد؟!

---

[1] أي: شفى المؤمنين واشتفى هو بما ناله من أعراض الكُفَّار ومزَّقها ونافَحَ عن الإسلام والمسلمين، نفسه.

[2] مُقتطف، (من الوافر).

[3] مسلم، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه، 36/8، (6153).

[4] محمد قطب، كيف نكتب التاريخ الإسلامي، ط1، دار الشروق، 1412هـ/ 1992م، 23.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولنا في ذلك عديد أمثلة، ممَّن كان الوالدان سبباً مباشراً في تميُّز أبنائهم وتفوُّقهم وعلوِّ همَّتهم، فهذا الإمام الشَّافعي الذي يُنسب إليه المذهب الشَّافعي، قد جَعلتْ منه أمُّه إمام وقته وعالم عصره، وهذا محمد الفاتح وقد عبَّد له والده الطَّريق ليكون أحد أكبر قادة الدولة العثمانية، لما لمسه فيه من ذكاء ومقْدرة عالية تفرَّد بها على حساب أقرانه.

هذا مثال عمَّا عايناَّه في مجموعة من سير أعلام المسلمين، حيث كانت الأم القوَّة الدَّافعة لطموحات أبنائها، وكان الأب المحفِّز الإيجابي لمسيرة أبنائه، فما بال أكثر آباء وأمَّهات اليوم تستعْجم عليهم طلائع الموهبة في أبنائهم، فلا يتنبَّهون ولا يتفطَّنون لها؟!

كما قد تتعدَّى رعاية مواهب الأولاد من الوالدين إلى الإخوة، وهذا ما كان مع الحافظ ابن حجر العسْقلاني الذي اكتشفت أخته ستّ الركب موهبته، فصار ذاك الإمام اللَّوذعي الذي أربى عن الأكْفاء وتميَّز عن النُّظراء.

وإنَّ في تتبُّع سير الأعلام إجابات كافية عن علامات نبوغهم وكيف جاب بريد ذكرهم الآفاق، ومن كان وراءهم مُكتشفاً مُشجِّعاً ومُدعِّماً، نذكر منهم على سبيل التَّمثيل لا الحصر[1]:

- **الإمام الشَّافعي (150 – 204هـ / 767 – 820م)**

هو[2] محمد بن إدريس بن العبَّاس، يُنسب إليه المذهب الشَّافعي، صنَّف في علم أصول الفقه، وله عديد تصانيف كالرِّسالة، والأم.

إنَّ الأم هي الرَّاعية في بيت زوجها، بتقديمها لتربية إيمانية سُلوكية صحيحة لأبنائها، فهي من ترعى عقول أبنائها وبناتها، لتُكوِّن أسرة مسلمة آمنة، فالأم هي منبع صلاح الأمَّة، ولعلَّنا نردِّد ونُعيد:

لَيْسَ يَرْقَى الأَبْنَاءُ فِي أُمَّةٍ مَا *** لَمْ تَكُنْ قَدْ تَرَقَّتْ الأُمَّهَاتُ

---

[1] **اعتمدنا في ترتيب الأعلام على التدرُّج التاريخي في سنة الوفاة.**

[2] **تنظر ترجمته وأخباره في: شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، 05/10.**

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهذا ما ينطبق على أم الإمام الشَّافعي حيث كانت تحثُّه على طلب الأمور العالية وتَوَقُّل الدَّرجات الرَّفيعة.

يقول الشافعي: «وُلدْتُ باليمن، فخافتْ أمي عليَّ الضَّيعة، وقالت: الحَقْ بأهلك، فتكون مثلهم، فإني أخاف أن تُغلب على نَسَبك، فجهَّزتني إلى مكَّة، فقدِمتُها وأنا يومئذ ابن عشر أو شبيها بذلك، فصرتُ إلى نسيب لي، وجعلتُ أطلب العلم، فيقول لي: لا تشتغلْ بهذا، وأقبلْ على ما ينفعك، فجُعلَت لذَّتي في هذا العلم وطلبه، حتى رزقني الله منه ما رزق»[1].

لقد كانت والدة الشافعي من ذوات الأفهام النيِّرة والأحلام الرَّاجحة، إذْ لم تكتف بإلحاق ابنها بأهله لتهيِّئ له فرصة التميُّز، بل كانت تسعى للتغلُّب على فقرها بُغية تحصيل ابنها للعلم ويكون في مصاف العلماء، فيا لها من نظرة استشرافية إيجابية لمستقبل ابنها! ولم يكن ذلك إلا بعد أن رأتْ فيه علامات النُّبوغ والتميُّز.

يقول الإمام الشَّافعي: «كنتُ يتيما في حجر أمي ولم يكن لها مال وكان المعلِّم يرضى من أمي أن أخْلُفه إذا قام، فلما جمعتُ القرآن دخلتُ المسجد فكنتُ أجالس العلماء فأحفظ الحديث أو المسألة، وكانت دارنا في شعب الخَيْف فكنت أكتب في العظم فإذا كثُر طرحته في جرة عظيمة»[2].

- الحافظ ابن حجر العَسْقَلاني (773 – 852 هـ / 1372 – 1449 م)

هو[1] شهاب الدين أبو الفضل العَسْقَلاني، عالم محدِّث وفقيه وأديب، له من المؤلفات الكثير من ذلك: فتح الباري في شرح صحيح البخاري وتهذيب التهذيب وتقريب التهذِّيب والإصابة في تمييز الصَّحابة وغيرها ممَّا اشتهرت وتداولت بين الناس.

---

[1] ابن أبي حاتم الرازي، آداب الشافعي ومناقبه، قدَّم له وحقَّق أصله وعلق عليه: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1424هـ / 2003م، 18.

[2] ابن حجر العسقلاني، توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، 1406هـ / 1986م، 54.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إن القوى الدَّافعة للطفل أو الشَّاب قد تتعدَّى الأب والأم إلى أهل بيته ممَّن بينهم واشجة رحم، وهذا حال ابن حجر العسقلاني مع أخته ست الرَّكب، والتي كانت همَّتها بعيدة المرمى، فكانت ترى في أخيها مشروع عالم فذ، وقد صحَّت رُؤيتها الثاقبة.

لقد كانت ست الركب شغوفة بالعلم وتعلُّمه، فقيَّد التاريخ سيرتها ووسمها بسِمات العلماء، ولم تحتكر هذه الصفة فيها، بل نجدها وقد حبَّبَت العلم لأخيها وكانت بمثابة القوة الدافعة له في طلبه للعلم، ليصبح من أئِمَّة الحديث.

ولم ينس الإمام توجيه أخته له، وها هو يرثيها بعدما وردت حياض المنية، وقد تصدَّع قلبه زفرات[2]:

قِفَا تَرَيَا حَالاً تَجِلُّ عَـنِ الوَصْفِ *** وَقُومَا انْظُرَا شَمْسَ الضُّحى وَهْيَ في كَسْفِ

ولا تَـعْجَـبَا أنِّي أمُـوتُ تَـلَـهُّـفا *** بَـلَى إنْ أعِـشْ مِـنْ غَيْرِ لهْفٍ فَـيَا لهْفِـي

وَجُودَا مَعِي فَضْلاً بِفَيْضِ مَدَامِعٍ *** وَإنْ كَـانَ دَمْعُ العَـيْنِ يُشْجِي وَلاَ يُشْـفِي

ويذكر خصال أخته السَّامية، والتي بفضلها حفَّزته إلى بعيد المدارك، وأبعدته عن القعود عمَّ تسمو إليه النُّفوس العزيزة، يَذْكرها وقد تبيَّن الكمد بين حروف أبياته:

بَكَيْتُ عَلَى تِلْكَ الشَّـمَائِلِ غَالَهَا *** كَثِيـفُ الثَّرَى بَعْدَ التَنَعُّمِ واللُّطْفِ

بَكَيْـتُ عَلَى حِـلْمٍ وعِـلْمٍ وعِـفَّـةٍ *** تُقَارِنُ مَعْ عِـزِّ الهُدَى هَزَّةَ الطَّرْفِ

1)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- **محمد الفاتح (855هـ-886هـ / 1451م-1481م)**

هو[1] السُّلطان محمد الثَّاني، والذي يعتبر السُّلطان العثماني السَّابع في سلسلة آل عثمان، حَكَمَ ما يقرب من ثلاثين عاما، عُرف بفتحه للقُسطنطينية.

هذا نموذج آخر على أهمية رعاية الوالدين لمواهب أبنائهم، جُسِّد في سيرةٍ من أروع السِّير عبر التَّاريخ الإسلامي، إنَّها سيرة شبل التَّوحيد محمد الفاتح، قاهر الرُّوم وفاتح القُسطنطينية.

لقد كان والد محمد الفاتح دائم الحرص على تنشئة ابنه تنشئة خاصَّة تَتَناسب مع قُدراته التي كانت تنمُّ عن مستقبل مميَّز، نعم... يبدو أن والده قد استشعر فيه الفطنة والنَّجابة التي فاق بها أقرانه منذ حداثته، فأحضر له المؤدِّبين والعلماء، والذين ساهموا في تنشئته على حبِّ الإسلام والإيمان والعمل بالقرآن وسُنَّة سيِّد الأنام عليه الصلاة والسَّلام.

ووثِق السُّلطان في قدرات ابنه، فسمح له بممارسة الأعمال السُّلطانية في حياته، ومنذ تلك الفترة، ومحمد يُعايش صراع الدولة البيزنطية في الظروف المختلفة، وبالتالي كان تطلُّعه إلى فتح القسطنطينية والتَّفكير في فتحها منذ تولِّيه السلطة وكان عمره آنذاك اثنين وعشرين سنة، حتى فتحها.

إذن، من خلال ما مرَّ بنا من نماذج مختارة نخرج بنتائج كثيرة أهمها:

- الإسلام تبنَّى الموهوبين ومواهبهم ووجَّهها لما فيه صلاح البلاد والعباد، من أجل أهداف دينية سامية ومن أجل أهداف دُنيوية أيضا.

- إنَّ استثمار المواهب ليس حكرا على أسرة الموهوب فحسب، إذ يمكن للمعلِّم أو الحاكم أن يميِّز المواهب من غيرها، ويمكن للفرد العادي تقديم الفرصة للموهوب إذا أيقن أنه يستحقُّ ذلك.

---

[1] **تنظر ترجمته وأخباره في: علي محمد الصلابي، فاتح القسطنطينية السلطان محمد الفاتح، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر، 1427هـ، 2006م.**

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- لا يكفي رعاية الأبوين لأجسام صغارهم بتوفير الأكل والشُّرب واللِّباس، بل لا بد من رعاية العقول واستثمار المواهب فيهم.

- لا تقتصر المواهب على صغار السنِّ فحسب، بل نجدها ماثلة في الكبار أيضا، والأهم هو استغلالها استغلالا إيجابيا ومنح الفرصة للموهوبين.

والله وليُّ التَّوفيق.